لم يحل لنبي قبلي فان قيل فما معنى قوله تريدون عرض الدنيا
الآية قيل المعني بالخطاب من اراد ذلك منهم وتجرد غرضه
لعرض الدنيا وحده والاستكثار منها وليس المراد بهذا النبي
صلى الله عليه وسلم ولا علية اصحابه بل قد روي عن الضحاك
انها نزلت حين انهزم المشركون يوم بدر واشتغل الناس
بالسلب وجمع الغنائم عن القتال حتى خشي عمر ان يعطف
عليهم العدو ثم قال تعالى لولا كتاب من الله سبق لمسكم ا
فاختلف المفسرون في معنى هذه الآية فقيل معناها لولا انه
سبق مني ان لا اعذب احدا الا بعد النهي لعذبتكم فهذا ينفي
ان يكون امر الاسرى معصية وقيل المعنى لولا ايمانكم بالقرآن
وهو الكتاب السابق فاستوجبتم به الصفح لعوقبتم على الغنائم
ويزاد هذا القول تفسيرا وبيانا بان يقال لولا انكم مؤمنين
بالقرآن وكنتم ممن احلت لهم الغنائم لعوقبتم كما عوقب من
تعدى وقيل لولا انه سبق في اللوح المحفوظ انها حلال لكم
لعوقبتم فهذا كله ينفي الذنب والمعصية لان من فعل ما احل
له لم يعص قال الله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا وقيل بل
كان عليه السلام قد خير في ذلك وقد روي عن علي رضي الله
عنه قال جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر
فقال خير اصحابك في الاسارى ان شاءوا القتل وان شاءوا
الفداء على ان يقتل منهم عام المقبل مثلهم فقالوا الفداء
ويقتل منا وهذا دليل على صحة ما قلناه وانهم لم يفعلوا
الا ما اذن لهم فيه لكن بعضهم مال الى اضعف الوجهين مما
كان الاصلح غيره من الاثخان والقتل فعوتبوا على ذلك
بين لهم ضعف اختيارهم وتصويب اختيار غيرهم وكلهم غير
عصاة ولا مذنبين والى نحو هذا اشار الطبري وقوله صلى

١٧٥

صلى الله عليه وسلم في هذه القضية لو نزل عذاب من السماء
ما نجا منه الا عمر اشارة الى هذا من تصويب رايه وراي من
اخذ بماخذه في اعزاز الدين واظهار كلمته وابادة عدوه
وان هذه القضية لو استوجبت عذابا نجا منه عمر ومثله وعين
عمر لانه اول من اشار بقتلهم ولكن الله لم يقدر عليهم في
ذلك عذابا لحله لهم فيما سبق وقال الداودي والخبر بهذا
لا يثبت ولو ثبت لما جاز ان يظن ان النبي صلى الله
عليه وسلم حكم بما لا نص فيه ولا دليل من نص ولا جعل الامر
اليه فيه وقد نزهه الله تعالى عن ذلك وقال القاضي
بكر بن العلاء اخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم
في هذه الآية ان تاويله وافق ما كتبه له من احلال الغنائم
والفداء وقد كان قبل هذا فادوا في سرية عبد الله بن جحش
التي قتل فيها ابن الحضرمي ابا الحكم بن كيسان وصاحبه فما عاتب الله
ذلك عليهم وذلك قبل بدر بازيد من عام فهذا كله يدل على ان
فعل النبي صلى الله عليه وسلم في شان الاسارى كان على
تاويل وبصيرة وعلى ما تقدم قبل مثله فلم ينكره الله عليهم
لكن الله تعالى اراد لعظيم امر بدر وكثرة اسراها والله
اعلم اظهار نعمته وتاكيد منته بتعريفهم ما كتبه في اللوح
المحفوظ من حل ذلك لهم لا على وجه عتاب وانكار وتذنيب
هذا معنى كلامه واما قوله تعالى عبس وتولى الآيات
فليس فيها اثبات ذنب له صلى الله عليه وسلم بل اعلام
الله تعالى ان ذلك المتصدى له ممن لا يتزكى وان الصواب
والاولى كان لو كشف لك حال الرجلين لا اختار الاقبال
على الاعمى وفعل النبي صلى الله عليه وسلم لما فعل وتصديه
لذلك الكافر كان طاعة لله عز وجل وتبليغا عنه واستيلافا

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)